المقالات الطرابلسية

في تنزيه الله عن المكان والجهة والكيفية

تأليف
نخبة من خريجي المعاهد الشريعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد أشرف المرسلين. أمّا بعد:

قال الشيخ حسين الجسر رحمه الله في كتابه الحصون الحميدية:

اعلم أنّ علم التوحيد هو علم يُبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية بالأدلّة اليقينية وثمرته هي معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية، وهو أصل العلوم الدينية وأفضلها، وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيّدنا ءادم إلى سيّدنا محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولكن لـمّا كان الشيخ أبو منصور الماتريدي والشيخ أبو الحسن الأشعري أشهر مَن دوّن كتب هذا العلم وأقام الأدلّة والبراهين على ردّ ما قاله المخالفون شاع أنّهما الواضعان له. ويفترض تعلّمه على كلّ مكلّف من ذكر وأنثى ولو بأدلّة إجمالية. اهـ.

وقد اعتنى العلماء من السلف والخلف بهذا العلم تدريسًا وتحفيظًا وتفهيمًا وأولوه اهتمامًا كبيرًا وألّفوا فيه المؤلّفات والرسائل وعقدوا لذلك المجالس وناظروا أهل البدع وكشفوا فساد معتقداتهم وردّوا شبههم وتمويهاتهم.

واقتداء بهؤلاء الأعلام درج علماء طرابلس الشام على تعليم

أبناء مدينتهم العقيدة الحقّة وتأليف الرسائل في إرشادهم إليها وردّ تمويهات المنحرفين حفظًا لعقائد شبّان هذه الأمّة من الوقوع في الزيغ والضلال.

ومن أكثر ما اعتنوا به جزاهم الله خيراً مسئلة تنزيه الله عن المكان والجهة، لأنها أصلٌ عظيم من أصول الدين وهي عقيدة كل المسلمين، فقد اتفق المسلمون عامّة سلفهم وخلفهم على أنّ الله تعالى لا يحلّ في مكان أو جهة ولا يحويه مكان أو جهة ولا يسكن السماء، ولا يسكن العرش، لأنّ الله تعالى موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان والجهة، ويستحيل على الله التغيّر من حال إلى حال ومن صفة إلى صفة أخرى، فهو تبارك وتعالى كان موجودًا في الأزل بلا مكان ولا جهة، وبعد أن خلق المكان والجهة لا يزال موجودًا بلا مكان ولا جهة.

وقد منّ الله علينا فجمعنا في هذا الكتيّب مختارات من أقوال هؤلاء العلماء في تنزيه الله عن المكان والجهة، لتطمئن بها القلوب ويظهر لكلّ طالب هدى أنّ هذه المدينة العريقة بعلمائها وأصالتها كانت ولا تزال على عقيدة رسول الله ﷺ، عقيدة مئات الملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وليظهر أنّ ما خالف هذه العقيدة فهو شاذّ عن عقيدة علماء الحقّ وأئمّة الهدى والله المستعان وهو الهادي إلى الإيمان.

الشيخ أبو المحاسن محمّد بن خليل القاوقجي

(توفي سنة ١٣٠٥هـ)

مسند بلاد الشام في وقته وعلى أسانيده المدار في غالب بلاد الشام ومصر والحجاز.

نشأ يتيمًا في كنف أخواله من ءال الحامدي ومن ثمّ سافر إلى مصر وتابع تحصيله العلمي في أزهرها، وأمضى أكثر من سبع وعشرين سنة يقرأ الفنون ويتلقّى العلوم على جماعة من العلماء المشهورين في مصر وغيرها.

وبعد أن أتمّ التحصيل عاد إلى بلده طرابلس وعكف على التدريس في مساجدها وبخصوص في مسجد الطحّام، إلى جانب الاشتغال بالتأليف.

أولى عنايته لتعليم أبناء مدينته العقيدة الحقّة التي توارثها العلماء عن سلفهم الصالح فوضع عدة رسائل في بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة في الله وصفاته ورسله الكرام، منها (كفاية الصبيان فيما يجب من عقائد الإيمان)، و (الاعتماد في الاعتقاد)، و (سفينة النجاة في معرفة الله)، و (بغية الطالبين فيما يجب من أحكام الدين).

وقد ضمّن كتبه تنزيه الله عن المكان والجهة والجسمية فقال رحمه الله في كتابه (الاعتماد في الاعتقاد) ص/ ٥ ما نصّه:

فإذا قال لك أين الله؟ فقل: مع كلّ أحد بعلمه ـ أي لا بذاته ـ، وفوق كلّ أحد بقدرته، منزّه عن الجهة والجسمية، فلا يقال: له يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمامٌ ولا فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا داخل في العالم ولا خارج عنه ولا يقال: لا يعلم مكانه إلا هو.

فإذا قال لك: مادليلك على ذلك؟ فقل: لأنّه لوكان له جهة أو هو في جهة لكان متحيّزًا وكلّ متحيّز حادث، والحدوث عليه محالٌ. اهـ.

وقال في كتابه (سفينة النجاة في معرفة الله وأحكام الصلاة) ص/ ٧ ما نصّه:

نعتقد بأنّ ذاته تعالى لا يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات ولا أفعاله تشبه الأفعال، ويستحيل عليه المماثلة للحوادث بأن يكون ذاته كالذوات يأخذ مقداراً من الفراغ، أو يتّصف بالأعراض كالبياض، أو يكون في جهة كالفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام، أو يكون جهةً كالأعلى والأسفل، أو يحلّ بمكان أو يُقيّد بزمان، أو يتّصف بالصغر أو بالكبَر أو التوسّط، أو النور ـ أي الضوء ـ أو الظلمة. اهـ.

وقال في كتابه (بغية الطالبين فيما يجب من أحكام الدين) ص/ ١٢ ما نصّه:

وأمّا تنزّهه تعالى عن الجهة فللزوم الحدّ في ذاته [١] فالجهات كلّها من توابع الأجسام وإضافاتها، فلو كان تعالى في جهةٍ، أو له تعالى جهةٌ لكان مشابهًا للحوادث وهو باطل.

وأمّا رفع الأيدي عند الدعاء فلأنّ السماء منزل البركات وقِبلة الدعوات، والله فوق كلّ موجود بالقهر والاستيلاء، وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.

وأمّا تنزهه عن المكان فلأنّ المكان مخلوق ولازمٌ للتحديد، فالمكان ما استقرّ عليه الجسم لا فيه، والحيّز ما ملأ الجسم، فالمكان والحيّز أمران نسبيّان من لواحق الأجسام وتوابعها، والله تعالى كان ولا زمان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، خلق المتمكّن والمكان، وأنشأ الخلق والزمان. اهـ.

(١) مراد المؤلّف أنّ القول بنسبة الجهة إلى الله والعياذ بالله يقتضي ذلك لزوم الحدّ على الله، أي أن يكون محدودًا محصوراً في هذه الجهة وهذا مستحيل على الله عزّ وجلّ. قال الإمام أبو جعفر الطحاوي وهو من رءوس السلف: «تعالى ـ أي الله ـ عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات»

وفي ص/ ٣٥ ما نصّه:

فيُرى سبحانه وتعالى لا في مكان ولا جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى. اهـ.

وفي كتابه (البدر المنير على حزب الشاذلي الكبير) ص/ ٢١ يقول ما نصّه:

﴿**الرحمٰـن على العرش استوى**﴾ استواءً يليق بجنابه، بدون وصف التمكّن والاستقرار، فإنّه تعالى كان ولا مكان ولا عرش ولا زمان، فإذا خلق الخلق لا يحتاج إلى مكان. اهـ.

وفي ص/ ١٠١ ما نصّه:

وقربه تعالى ليس قرب مسافة ولا مساحة، لأنّه يتعالى عن الحدود والأقطار والنهاية. اهـ.

الشيخ حسين الجسر

(توفي سنة ١٣٢٧هـ)

والد الشيخ محمّد الجسر الذي تولّى رئاسة مجلس النوّاب اللبناني وجدّ الشيخ نديم الجسر الذي تولّى منصب الإفتاء في طرابلس، وُلد في طرابلس وتلقّى فيها علومه الأوّليّة عن عدة شيوخ أبرزهم الشيخ أحمد عبد الجليل والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الرزّاق الرافعيين.

سافر إلى مصر وجاور بالأزهر الشريف مدة خمس سنوات انكبّ خلالها على تحصيل العلم، ثمّ عاد إلى بلده طرابلس وتولّى التدريس في الجامع المنصوري الكبير وفي جامع طينال.

وعليه تخرّج نخبة من علماء طرابلس أمثال الشيخ كامل الميقاتي أمين الفتوى، والشيخ عبد المجيد المغربي أمين فتوى طرابلس، والشيخ وهيب البارودي والشيخ عبد الكريم عويضة.

له عدة تآليف من أهمّها (الرسالة الحميدية في حقّيّة الشريعة المحمّديّة) ردّ فيها افتراءات المستشرقين على الشريعة الإسلامية.

ظهرت عنايته بإرشاد أبناء مدينته إلى علم التوحيد في قصيدته التي وضعها لتعليم الأطفال محاسن الأخلاق وحثّ فيها على تعلّم علم العقيدة الحقّة واعتبره من أوائل ما يُلقّن للأطفال فقال في رسالته (هديّة الألباب في جواهر الآداب) ص/ ٢ ما نصّه:

فـأوّل الـكـمـال لـلأولاد معرفة المولى العظيم الهادي
وصـحّـة الإيمـان والإقـرار بكـلّ ما صحّ عن المختار
ثـمّ أداء واجـب الـعـبـادة فـإنّـهـا عـلامـة الـسـعـادة
اهـ.

ولمـّا انتشرت بعض الأفكار الهدّامة والعقائد الزائغة سارع الشيخ حسين إلى وضع كتاب في بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة وردّ تلك الشبه حفاظًا على عقيدة أبناء المسلمين من الزيغ والضلال وأسماه (الحصون الحميدية للدفاع عن العقيدة الإسلامية).

ذكر في مقدّمته أنه نشأت شبه لم تكن معهودة في غابر الأعوام وصار كلّ عاقل يخشى على إيمان الضعفاء من غوائل هذه الشبه الجديدة وعلى عقائد شبّان الأمّة الزيغ والوقوع في الضلالات، فتجدّد الاحتياج إلى استئناف الردود السديدة وتأليف كتب في حفظ الإيمان مفيدة.

وقد نبّه في كتابه هذا على تنزيه الله عن المكان والجهة فقال رحمه الله في ص/ ١٩ ما نصّه:

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث ويستحيل عليه المماثلة للحوادث بأن يكون تعالى مشابهًا لهذه الموجودات الحادثة في خاصّة من خواصّها. . . وذلك كالجوهرية والجسمية والعرَضيّة والتحيّز والتركيب والتجزّؤ والتولّد عن الغير وولادة الغير

والاتصال والانفصال والانتقال من حيّز إلى حيّز. اهـ.

وفي ص/ ٢٠ ما نصّه:

يجب لله تعالى قيامه بنفسه ويستحيل عليه قيامه بغيره، بمعنى احتياجه إلى مكان يقوم فيه أو محلّ يحلّ فيه، أو مخصّص يخصّصه، أو موجِد يوجده.

والدليل على ذلك أنّه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنّه تعالى ليس جوهرًا ولا جسمًا، فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه، لأنّ الاحتياج إلى المكان من خواصّ الجواهر والأجسام. وثبت هناك أنّه تعالى ليس عرضًا فلا يحتاج إلى محل يحلّ فيه ويقوم به كما تحتاج الأعراض كالألوان والطعوم. اهـ.

وفي ص/ ٤٠ يقول:

فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسميّة والجهة. اهـ.

الشيخ عبد القادر الأدهمي
(توفّي سنة ١٣٢٨ هـ)

وُلد بطرابلس وتلقى فيها علومه على الشيخ أبي المحاسن القاوقجي والشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الرزّاق الرافعي.

رحل إلى المدينة المنوّرة وأقام فيها مجاوراً، ثمّ توجّهت إليه من قِبَل السلطان عبد الحميد وظيفة الخدمة في الحجرة الشريفة.

وضع عدّة رسائل في أنواع من العلوم منها رسالة (وسيلة النجاة والإسعاد في معرفة ما يجب من التوحيد والاعتقاد).

قال في مقدّمتها: هذه رسالة وجيزة غزيرة الفضائل فيما يجب اعتقاده في التوحيد على كلّ مكلّف من العبيد.

وفي ص/ ٤ يقول ما نصّه: وهو تعالى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له، ولا يشبه شيئًا من الحوادث، ولا يشبهه شيء منها، ولا يحتاج إلى مكان ومحل، ولا يغيّره زمان، ولا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، قائم بنفسه، مستغنٍ عن جميع خلقه، قادر مريد يفعل ما يشاء، أبدع خلق العوالم وسائر الأشياء، ويعلم الواجبات والمستحيلات والجائزات، ويرى كلّ شيء ويسمعه، لا يشغله شأن عن شأن. اهـ.

الشيخ عبد المجيد المغربي
(توفي سنة ١٣٥٢هـ)

ينتمي إلى عائلة تسلسل منها القضاة والمفتون والعلماء الأعلام تلقى علومه من نخبة من علماء طرابلس كالشيخ أبي المحاسن القاوقجي والشيخ حسين الجسر وغيرهما. اشتغل بالتدريس في مدارس طرابلس وفي الجامع المنصوري الكبير.

تولى منصب أمين الفتوى في طرابلس، حتى أقيل في عهد الانتداب الفرنسي بسبب مواقفه السياسية والوطنية. شغله أمر إصلاح عقائد أبناء المسلمين وتطهيرها من شبه الملحدين.

قال في كتابه (المنهاج في المعراج) وقد نشر حديثًا تحت عنوان (رسالة علمية في الإسراء والمعراج) ص/ ٢٦:

وكم ذا وجدتني وأنا في ذاك الجمع يرجف قلبي رجفانًا مزعجًا حين يستمع المستمعون من تالي القصّة قوله حكاية لقول موسى عليه السلام في مسئلة تخفيف أعداد الصلوات ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف فيرجع ثم يعود إلى موسى بالحط خمسًا فخمسًا من ذاك العدد، مما قد يوهم المكان والجهة في حقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا. اهـ.